



حبر أبيض  
WHITE INK



أ.د. حياة الرشيدى

# أصحاب مزدك، الاتفاق والاختلاف

جميع الأديان في بلاد فارس، نتاجها الاتفاق على أن الأركان الثلاثة لهذا العالم الماء والأرض والنار، وتكون من ذلك ليلٌ ونهارٌ، وظلمةٌ ونورٌ، وتعاقب الخير والشر.

ضمن هذا السياق يمكن فهم المزدكية التي دعا إليها مزدك الذي ظهر في أيام كسرى فارس "قباد" والد أنوشروان، ودعا مزدك قبادًا إلى مذهبه فأجابه، وأطَّلَع أنوشروان على افتراءه، فطلبه وقتله، تلك الأخبار هي ما نقلها الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل.

والكارثة الحقيقية في تأويل تلك المعتقدات، أنها تجعل المعبود خليطاً بين الخير والشر، والحديث عن الشبهات لا مجال لخوضه، لكنهم يَصِلُونَ من خلال ذلك إلى أن أي إنسان تجتمع فيه قوى يختلف عددها بين أربع أو سبع أو اثنا عشر، صار رباناً في العالم السفلي، ويُرفع عنه التكليف، وإن حَسِرُو العالم ينقلب الأمر إلى تدبير آخر باللجوء إلى الحروف التي يتكون منها الاسم الأعظم، وعندها ينفتح له السر الأكبر.

كما أنهم يَصِلُونَ في النهاية بعيداً عن تلك التفاصيل، وذلك أنه إذا عجزت كل الحلول والخرافات التي تزوجها عقائدهم فإن الإنسان يُحرم ويبقى في جهلٍ ونسيان وبِلَادَةٍ.

أمرهم عجيب بين تخبُّطات فلسفية تخلط الفهم والحقائق، وبين ادِّعاء السرور والسعادة بعد الحفظ، وتنقسم المزدكية إلى فرق مثل الكودية وأبو مسلمية والماهانية، وتلك الفرق منتشرة في بلاد فارس خاصة مدن "شهرزور- نواحي السند - وسمرقند- والشاش- وإبلاق".

تلك "الأديان" حملها أصحاب فكر يعتقدون التألُّه والربوبية بعد المرور بمرحلة النبوة، والأدهى من ذلك تأسيس مذاهب مادية حتى تكون الركيزة الأساسية لأفكارهم، كقول مزدك بالاشتراكية المالية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى الاشتراك في النساء، وكل ما يمكن أن تكون فيه شراكة ملوثة بأفكار عقائدهم الوحشية في باطنها المتظاهرة بلباس الخير والنور لقهـر الشر والظلام.

ويقول الطبري في تاريخه عن مزدك: "إنه من أهل تَيْسَابور، ودعا إلى مذهب تُنْوي جديد، فكان يقول أيضاً بالنور والظلمة؛ ولكن أكبر ما امتاز به "تعاليمه الاشتراكية"، فكان يرى أن الناس وُلدوا سواءً فليعيشوا سواءً؛ وأهم ما تجب فيه المساواة المال والنساء، قال الشهرستاني: "وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، فأحل النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شَرِكَةً فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ".

وقال الطبري: "قال مزدك وأصحابه: إن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتأسي، ولكن الناس تظالموا فيها، وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء، ويُرْدُونَ من المكثرين على المقلين، وأن من كان عنده قَصْلٌ من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره، فافتصر السُّفلة ذلك (أي جعلوه فرصة) واغتنموه، وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابْتَلَى الناس بهم، وقوي أمرهم، حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله، وحملوا "قُبَاد" (أي حثوه) على تزيين ذلك وتوعده بخلعه، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولده، ولا المولود أباه، ولا يملك الرجل شيئاً مما يتسع به".

وقال في موضع آخر: "وكان مما أمر به الناس وزينه لهم وحثَّهم عليه، التأسي في أموالهم وأهليهم، وذَكَرَ أن ذلك من البر الذي يرضاه الله ويُثِيبُ عليه أحسن الثواب، وأنه لو لم يكن الذي أمرهم به وحثهم عليه من الدين، كان مكرمة في الفعال، ورِضًا في التفاوض".

إن تعاليم مزدك اشتراكية من أسبق الاشتراكيات في العالم، ويقول الأستاذ "نولديك": "إن الذي يُميز مزدك عن الاشتراكية الحديثة ما لتعاليمه من الصبغة الدينية" وكانت له تعاليم روحية أخرى، فقد كان يُعَلِّمُ القناعة والزهد، وحرمة الحيوان فلا يُذبح.

وقد اعتنق مذهبه آلاف من الناس إلى يومنا هذا ...